ندوة

في سيمنار «المركز العربي»، الذي عُقد أوّل أمس، تتبّع الباحث السوريّ طروحات عدد من المفكّرين العرب الذين سعوا إلى اختزال المشكلات العربية والإسلامية المُعاصرة بإرجاعها إلى الثقافة، مُبيّنًا أنّ خوفهم من السياسة دفع البعض منهم إلى منطقة بعيدة عنها

الدوحة ـ **محمد هديب**

تتشكّل بؤرة الثقافوية عند الباحث السوريّ رشيد الحاج صالح من تسليمها بوجود افتراضات ثقافية مُسبقة بديهية تدمغ كلّ شيء في المجتمع، بوصفها كائناً مستقلاً متمركزاً حول ذاته، وقادراً على فهم وتفسير مجتمع ما بأكمله. وهذه الثقافوية العربية وجدت نقداً لاذعاً في دراسة الحاج صالح، مدير تحرير دورية «تبيُّن»، التي قدّمها أول من أمس الأربعاء في سيمنار، عقده «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات» في الدوحة بعنوان «الثقافوية في الفكر العربي المعاصر: أركون نموذجاً» وقدّمه هاني عواد، وعقّبت عليه أستاذة الفلسفة إليزابيث سوزان كتاب.

وفي دراسته، يسائل الباحث جملةً من المفكّرين الذين يُدرجهم في هذا الحقل الثقافوي، مثل محمد عابد الجابري، وحسين مروّة، وجورج طرابيشي، وحسن حنفي، وطه عبد الرحمن، ووائل حلّاق، لكن

رشيد الحاج صالح عودة نقدية إلى محمّد أركون

ثقافويون في الفكر العربي المعاصر

ضيق وقت السيمنار جعله يختار المفكّر الجزائري محمد أركون نموذجاً.

جامع مشترك

هؤلاء المفكّرون كما يُحاجّ المحاضر، رغم أهمية طروحاتهم، ورغم أنهم لا يُوضعون في صورة اختزالية واحدة، إلا أن انتماءهم جميعاً لما يراها ثقافوية سمح بأن يستنبط جامعاً مشتركاً بينهم، ألا وهو إرجاعهم مشكلاتنا المعاصرة بشكل مركزي إلى الثقافة، وبالتالي إجبارنا على العودة إليها حتى نستطيع حلّها.

هذا سيؤدّي إلى خلاصة أثارت نقاشاً واسعاً في المكان، ومفادها أن الثقافويين يتجاهلون السياسة، معتقدين أن الوضع السياسي الراهن ليس هو ما يُقرز هذه المشكلات العربية والإسلامية المعاصرة.

بل أكثر تحديداً في نظر الحاج صالح يبدو الخوف من السياسة هو ما دفع البعض منهم إلى منطقة بحث بعيدة عن الانخراط السياسي المُكلف عندهم، حتى أن المفكر المغربي طه عبد الرحمن يتبنى دعوة صريحة بالنبذ عن السياسة وتركها لأهلها والتفرّغ للعبادة والزُّهد، لأن السياسة تؤدّي إلى القتل والتدمير والصراع بين الناس.

هروب من السياسي

نكسة حزيران/ يونيو 1967 كانت مثاله الساطع على انسداد أفق التعبير السياسي في نقد الهزيمة ومسبّبيها، وبالتالي «هروب» طائفة من المفكّرين إلى الماضي والتراث، حيث تبدأ مشكلتنا من التراث، مثلما يبدأ الحلّ منه، بتثويره وتجديده وفهمه فهماً معاصراً، كما يُردّد المفكّر الجزائري محمد أركون.

وعليه عاين الباحث هذه المشاريع التي ستتوالد بعد النكسة، فإذ بها مشاريع فكرية فوقية أوجدت مشكلات مفترضة وركّبتها على الواقع، فأصبحت مشكلة العرب لا تُحل إلا عبر «نقد العقل الديني» كما عند أركون، أو «نقد العقل السياسي العربي» كما يقول الجابري، أو الكشف عما يسمى «سُبات العقل الإسلامي» كما عند جورج طرابيشي، أو بتجديد علم الكلام كما يرى حسن حنفي.

> تبحث الثقافوية في حقول بعيدة عما يستفزّ بُنية السلطة

إذن، بدلاً من قراءة الوضع السياسي الراهن، وبدلاً من قراءة التاريخ بوصفه تحوّلات، يلاحظ المحاضر زعم الثقافوي بوجود عقل سياسي وأخلاقي عربي جامد لا يُعطي للسببيّة والمنطق الدَّور الذي يستحقّ، وتوجَّس شرّاً من كلّ جديد ومختلف.

قوالب جامدة

استعرض الحاج صالح من هذه الزاوية ما قال إنها قوالب جامدة تبنّاها مروّجوها وما زالت على حالها إلى اليوم، فهي عند الجابري جامدة منذ ألف عام، وعند أركون منذ سبعمئة عام، وعند حسن حنفي منذ ألف ومئتي عام، وهي جميعها تُخلق أوهاماً تضخّم من دور الثقافة والتراث، على حدّ قوله.

ستتوالى أربعة عقود صدرت فيها كتُب ضخمة تجاهلت فيها الثقافوية العربية السياسة، وهو ما يُفسّر عطالتها وعدم فاعليتها وقدرتها على التأثير في هذه العقود، مثلما رصد الباحث ذلك بصورة واضحة في تعامل الثقافوية العربية مع الأحداث الكبرى كما في الربيع العربي أو نكبة غزّة اليوم.

علمنة العقل

وبخصوص نموذج أركون الذي جاء في الثلث الأخير من المحاضرة، تناول المحاضر أطروحاته حول نقد العقل الإسلامي، ومنها ضرورة علمنة العقل الإسلامي عن طريق تطبيق المناهج الغربية الحديثة في العلوم الإنسانية، وجعل اللّامُفكّر فيه شيئاً يمكن التفكير فيه داخل الفكر الإسلامي المعاصر، أي نزع هالة القداسة عن قضايا لم تكن بهذه القداسة في بداية الإسلام.

وأورد الحاج صالح أن أركون يردّد دائماً في كلّ كتبه أن نجاح الحركات الأصولية المعاصرة لا يعود إلى صحّة أطروحاتها وتفوّقها الفكري، بل إلى العصور السابقة التي تقف وراءها وتغذّيها وتخلع عليها المشروعية، وهي عصور تمتاز بالجمود العقائدي والتفسير الغيبي وأخلاق الطاعة والتصوف.

أما قراءة أركون للحداثة الغربية، فقال إنها في جانب منها تأتي من تقديره لها، متطرّقاً إلى ما يسميه «الفوات التاريخي أو الحضاري» بين أوروبا وحضارتها من جهة، والمسلمين من جهة أخرى، وهذا يشمل اهتمامه بما يعتقد أنه مقاومة إسلامية عربية للحداثة الغربية وقيمها.

ملامح ثقافوية

والملامح الثقافوية التي يقرأها المحاضر عند أركون تتمركز حول التراث بوصفه المشكلة والحلّ، واعتقاده بأن علمنة المجتمع يمكن أن تنجز بمنأى عن السلطة السياسية ونقدها. لذلك يقدّم إشكالية العلمانية على إشكالية الديمقراطية، بينما «هو يعرف أكثر منّا» أن الدين في أوروبا لم يكن عائقاً حقيقياً عندما أخذت الشعوب الأوروبية تتطلّع إلى تغيير أنظمة الحكم في بداية العصر الحديث.

كما لاحظ المحاضر غياب دور الفرد المسلم والعربي عن مشروع أركون الفلسفي (وهي صفة تلازم غالبية الثقافويين العرب كما قال) قد يكون بتأثير من إميل دوركهايم والفكر الفرنسي البنيوي عموماً، لجهة أن دور المجتمع أساسي والفرد تابع لقيم هذا المجتمع.

وانتهى إلى القول إن الثقافوية عند أركون وآخرين وهي تدير ظهرها للسياسة إلا أنها ليست بريئة سياسياً، مع ملاحظة أن النظام السياسي العربي رحّب بها، ما دامت تبحث في حقول بعيدة عما يستفزّ بنيته السلطوية المباشرة.

وبهذا المعنى يصعب تحليل الثقافوية إلا عبر العلاقة المستبطنة بالسياسة، والباحث هنا يستهدف بدراسته فحص المكانة اللائقة للواقع وللفعل السياسي المنهكَين، والنظر في الثمن الذي تدفعه الثقافوية نتيجة خشيتها من السياسة، لا سيما وقد لاحت في الأفق منذ بضع سنوات موجة ثقافوية جديدة تبنّي سرديتها على أن المازق الكبير الذي عانته مسارات الربيع العربي يعود في النهاية إلى أسباب تتعلّق بثقافة المنطقة.

من السيمنار (المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات)

مع غزة

من أجل علوم إنسانية واجتماعية ناقضة للاستعمار

منير السعيداني

تقف هذه الزاوية مع مبدع عربي في أيام العدوان على غزّة وكيف أثّر على إنتاجه وحياته اليومية، وبعض ما يودّ مشاركته مع القرّاء

تونس ـ **العربي الجديد**

■ ما الهاجس الذي يشغلك هذه الأيام في ظل ما يجري من عدوان إبادةٍ على غزّة؟

ما يشغل بالي فعلاً هو كيف يُمكن أن تتحوّل حملة التضامن العالمية مع شعبنا في غزّة إلى اشتباك فعّال مع سلطات البلدان التي تُعين على العدوان بطريقة أو بأخرى. لقد ارتقى التضامن إلى إسناد من خلال التحرّك القانوني والقضائي الدولي الذي قادته جنوب أفريقيا، ولكنّنا في حاجة إلى المزيد؛ بحيث تتحوّل آلية الإدانة والتضامن والإسناد إلى آلية ملاحقة فعّالة ضدّ مُقترفي الإبادة، لا الصهاينة فحسب، بل ضدّ شركائهم أيضاً من السياسيّين والإعلاميّين والشخصيات العامّة في أيّ بلد. أظنّ أن المُضيّ في توسيع آلية المحاسبة القانونية على أساس القانون الدولي الإنساني المانع لجرائم الحرب والإبادة يُمكن أن يؤدّي بعض هذا الغرض.

■ كيف أثّر العدوان في حياتك اليومية والإبداعية؟

حصل التأثير من جانبين. جانب يعود إلى تبنّي نوع من الانتماء إلى فلسطين منذ سنوات شبابي الأولى، وجانبٌ يعود إلى أخذ النضال الوطني الفلسطيني حيّزاً مُهمّاً في اهتماماتي البحثية. يظهر التأثير في أنني أخصّص منذ بداية العدوان يومياً حيّزاً للاطّلاع على تفاصيل مجريات العدوان والمقاومة الباسلة التي تواجهه، وأخصّص وقتاً أطول وجهداً أعمق للتفكير في ما يحدث. وقد مكّنني هذا من تقديم محاضرات ومداخلات وكتابة نصوص أعتبرها مساهمة منّي في المعركة.

■ إلى أي درجة تشعر بأن العمل الإبداعي ممكنٌ وفعّال في مواجهة حرب الإبادة التي يقوم بها النظام الصهيوني في فلسطين اليوم؟

وضعتْ واحدة من محاضراتي الأخيرة تحت عنوان «مجتمع المقاومة وثقافتها». المقصود بالثقافي واسع في هذا العنوان؛ حيث يشمل الكتابات التي لا تُعتبر عادةً من جنس الإبداع في معنييه الأدبي أو الفنّي الضيّقين. إبداع أفكار جديدة في اتجاه مزيد من الوعي بضرورة إنتاج علوم إنسانية واجتماعية ناقضة للاستعمار، كما حاولت أن أبيّن في محاضرة أخرى القيتها أخيراً جزءاً ممّا هو مُمكن وفعّال اليوم، في سياق هذه المعركة.

■ لو قُيّض لك البدء من جديد، هل ستختار المجال الإبداعي أو مجالاً آخر، كالعمل السياسي أو النضالي أو الإنساني؟

الحقيقة أنني جرّبت كلّ هذه الأشكال ممّا يمكن أن نسمّيه الاشتباك مع الواقع من أجل تغييره. لاختيار هذا الشكل أو ذاك ظروف وعلل، وهي بطبيعتها متبدّلة. لو قُيّض لي البدء من جديد، فلا أظنّني أختار غير ما سرت فيه. أنا لا أقول هذا من باب الرضا عن النفس ولكن من باب القناعة بالحصيلة: كلّما خضت شكلاً وعشت من خلاله منعرجاً في حياتي، اغتنيتُ أكثر بمعارف وصداقات وأفكار عزّزت لديّ ثقتي بما تبنّيته، ويمثّل لي «إيتيقا» وجود وأسلوب حياة.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

من منظور إنساني، أنا أرنو إلى أن ينتصر نضال البشرية من أجل عالم عادل ومنصف في استجابته لحاجات الإنسان التي يرى نفسه جديراً بها، ليس فيه ظلم ولا أعداء، لا على الأفراد بوصفهم كذلك، ولا على المجموعات ولا على الأوطان والشعوب. أخيراً قلت في معرض ما قلتُ عمّا يحدث الآن في فلسطين إننا بلغنا مستوى من الاقتراب من مثل هذا العالم يمكن أن نسمّيه «العَتَبَة الغَرَاوِيّة»، بما يعني أننا بصدد منعطف في تاريخ البشرية أجد أنه جدير بأن يُنعت على أنّه «المنعرج الفلسطيني»، وهو منعرج حاسم على طريق إعادة صياغة «إيتيقا» العيش المشترك الإنساني.

> صنع الغرْبيون أُفقاً للبشرية علينا الارتقاء إلى مستواه

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

منير السعيداني

بطاقة

باحث وأكاديمي تونسي مُتخصّص في علم الاجتماع، من مواليد عام 1958. يشغل رئاسة تحرير دوريّة «عمران» التي تصدر عن «المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات». عمل أستاذاً لعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا في جامعات تونسية منذ عام 2000، وحاضَر في جامعات عربيّة وأجنبيّة. صدرت له عشرات المقالات والكتب بالعربية والفرنسية والإنكليزية، من بينها: «الحالة الدينيّة في تونس 2011 - 2015: دراسة تحليلية ميدانية» (إشراف وتحرير، 2018)، وسجلّات علم الاجتماع وسجالاته في تونس: وجوه ومسارات» (2023)، له في الترجمة: «مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية» (2009) لـ دنيس كوش، و«ممارسة علم الاجتماع» (2013) لـ سيرج بوغام.

إطلالة

كتابة بين الحدود السياسية

استعمار الرواية

لا تستطيع الرواية تجاوُز الواقع السياسي الراهن إلا إذا اقتربت من نظام السرد في الحكاية الشعبية، ويمكن للعجائبية أن تكسر هذه القاعدة أيضاً

معدوح عزام

لم يكن الراوي في الحكاية الشعبية العربية يحفل بالجغرافية، وقد كانت بلاد الشام، مثلاً، أرضاً متاحة للمتخيّل الحكائي، حيث تتحرّك الشخصيات وتتنقّل في هذه المساحة من دون أي قيد من قيود السفر التي وُضعت في بدايات القرن العشرين، وهو ملمح من الملامح الهامّة التي تفرق بين الراوي في الرواية، والراوي في الحكاية. وعندما وَضع مارك سايكس وجورج بيكو الخطوط النهائية لخرائط بلاد الشام والعراق، في المعاهدة السرّية التي باتت شهيرة اليوم، تخصّ جميع سكّان هذه المنطقة من دون استثناء، كانوا يرسمان حدوداً سياسية، أصبحت فيما بعد ذلك أوطاناً، ولم يخطر ببالهما قطّ، كما تخيّل، أنهما يحدّدان هوية، أو هويات. وبينما كان التاريخ، ولا يزال، يطلق على الحكاية اسم الحكاية الشعبية العربية، فقد أرغمته الحدود التي رسمها المستعمر على تغيير التسميات فيما يخصّ الرواية، بحيث صار لدينا اليوم تسميات تخلو من كلمة «العربية»؛ مثل الرواية السورية، والأردنية، والفلسطينية، والعراقية؛ وهي تسميات تعكس الحدود، وتحاول تأبيد «الهويات» الجديدة الطارئة التي صنعها المستعمر بجرّة قلم المتعاهدين. وإذا كان الراوي في الحكاية قد استطاع أن يتجاوز مسألة الانتماء الجغرافي، فإنّ الأمر الأكثر أهمية هو أنّه كان بوسعه أن يتجاوز مسألة الانتماء الهوياتي، فالانتقال بين الأماكن كان متاحاً وحرّاً، لا يفضل بنية الحكاية وحسب، بل بمساعدة المكان الخارجي الذي لم يكن يضع العراقيل أمام حركة البشر الأحياء بين أرض فلسطين وأرض الشام مثلاً، أو الشخصيات المشاركة في صناعة الأحداث، وبالتالي فإنه يترك المخيّلة حرّة، لا تنشغل بهذه المسألة بتاتاً، أو هي لن تكون ضمن معوّقات السرد. غير أنّ الجغرافية الاستعمارية بدت كأنما قد استعمرت الرواية أيضاً، ووضعتها في المشكلة، فالحدود السياسية التي نشأت بعد تثبيت المعاهدة، لا تسمح بمرور جواز السفر، وحده، أو عدم مروره، بل إنّها أضحت عائقاً أمام الشخصيات في الواقع أوّلاً، ثم في قضية الانتقال بين الحدود. ويعرف الناس الذين قُسّمت المعاهدة، أراضيهم، وعشائرهم، ومدنهم، وقراهم، بين العراق وسورية، وبين سورية والأردن، وبين لبنان وسورية، كيف صار القريب عاجزاً عن زيارة قريبه، وكيف افترق الأصدقاء، وتشتّت الناس بين بلدين، وفي زمن قصير للغاية هو زمن إعلان الدول، حيث اكتسب الأشخاص المعنيون هويات العراقي، أو السوري، أو اللبناني، أو الأردني.

> تسميات تعكس الحدود وتؤيّد هويات طارئة صنعها المستعمِر

لا تستطيع الرواية السورية، والأردنية، والفلسطينية، والعراقية، أن تتجاوز الواقع السياسي الذي صنعه المستعمر، فالرواية السورية، مثلاً، لا تستطيع أن تتجاوز مسألة الانتماء السوري، والرواية الأردنية لا تستطيع أن تتجاوز الواقع السياسي الراهن، أي تقسيم المنطقة إلى دول أخذت تتمسّك بحدودها، إلّا إذا اقتربت من نظام السرد في الحكاية الشعبية، وذلك بتجاهل الواقع على الأرض، ويمكن للعجائبية أن تكسر هذه القاعدة الجديدة أيضاً، من دون أن تستطيع المسّ بالحقائق التي بُنيت على الأرض. وفي المقابل، فإنّ النقد لم يتمكّن حتى اليوم من التعرّف إلى الملامح التي تجعل من التسمية التالية: «الرواية السورية» مطابقة للمكتوب، أي أنّ السوري في الرواية السورية لا يظهر كمجموعة من الظواهر الفنية أو الأسلوبية التي يمكنها أن تؤكّد الهوية الإقليمية، وهذا الأمر ينطبق على الرواية العراقية، والأردنية، واللبنانية، وسوف تبقى التسمية مقتصرة على الحيّز السياسي، أو الجغرافي، الذي تحدث فيه وقائع الرواية المعنيّة.

(روائي من سورية)

فلسطينيون يرفعون الفاضي «مدرسة العروبة» في مخيّم النصيرات بغزّة، 31 كانون الثاني/ يناير 2024 (Getty)

فعاليات

تحتضن «مكتبة قطر الوطنية» في الدوحة، عند السادسة من مساء التاسع عشر من الشهر الجاري، امسيةً شعرية بعنوان **غزّة دوحة الصمود**، يُلقي فيها كلٌّ من **مصطفى مطر** من فلسطين، و**احمد المفتاح** (الصورة)، من قطر، و**ريمان ياسين** من سورية، قصائد حول فلسطين، بمرافقة مقطوعات موسيقية تُعزف على آلة العود.

وجود ومقاومة، هو شعار الدورة الثانية عشرة من «معرض مدينة تونس للكتاب» التي تنطلق اليوم في شارع الحبيب بورقيبة بتونس العاصمة، وتتواصل حتى الرابع والعشرين من شباط/ فبراير الجاري. تشهد الدورة الجديدة، التي تشارك فيها قرابة ثمانين دار نشر تونسية وأجنبية، إقامة جداريات تضمّ خرائط للمدن الفلسطينية مع نبذة عن التاريخ النضالي لفلسطين.

دَور الشاروني في نقد حركة ادب الطفل، عنوان ندوة تحتضنها «قاعة سليم حسن» في «معرض القاهرة الدولي للكتاب»، عند الثانية من مساء غدٍ السبت، ويتحدّث فيها: **شريف الجيار** و**عصمت خورشيد** و**كمال سيّد عبد التواب** حول تجربة **يعقوب الشاروني** (1931 - 2023/ الصورة)؛ شخصية الدورة الحالية من المعرض لادب الطفل.

يحتضن «مسرح المدينة» في بيروت، عند الثامنة والنصف من مساء 17 شباط/ فبراير الجاري، عرضاً لمسرحية **بيت**. العمل من تاليف و تمثيل طلبة الدفعة الثانية والعشرين من دورة إعداد الممثّل والإخراج المسرحي في «مسرح شغل بيت»، بإشراف المُخرج **شادي الهبر**، ومن المشاركين فيها: **ساندي شيّا**، و**ريما يونس**، و**علي حسن ماجد**.